

USÛL

İSLAM ARAŞTIRMALARI
Islamic Researches / بحوث إسلامية

12

TEMMUZ - ARALIK 2009
July - December 2009

نشأة وتطور الأسطول الإسلامي زمن الخليفة عثمان بن عفان

*Tarik Mohammed al-AZZAM**

*Mohammad Ali al-ROUSAN***

الملخص: لعب الأسطول الإسلامي دورا فاعلا ومؤثرا في تاريخ الدولة الإسلامية، وقد جاء هذا البحث بهدف دراسة نشأة الأسطول زمن الخليفة عثمان بن عفان وتطوره. نشأ الأسطول الإسلامي على يد معاوية بن أبي سفيان الذي قام بإنشاء الموانئ وبناء دور الصناعة، ثم انطلق بعد تجهيز الأسطول إلى جزيرة قبرص، فاستطاع إخضاع أهل قبرص، ووقع معهم معاهدة، بعدها بدأ الأسطول الإسلامي يقوم بدور كبير في منافسة البيزنطيين على نفوذهم البحري، وذلك بفتح وإخضاع قبرص وجعلها مركزا للمسلمين، ثم استطاع المسلمون فتح جزر رودس وأرواد وخوس، كما هاجموا جزيرتي كريت وصقلية، وكان لتحركات الأسطول الإسلامي أن أثارت البيزنطيين الذين سعوا إلى القضاء على الأسطول الإسلامي في معركة ذات الصواري، وخلالها استطاع المسلمون إحراز النصر عبر استخدام أسلوب ربط السفن ببعضها، وهو ذات الأسلوب البيزنطي في القتال، مما إلى يشير تطور قدرات المسلمين البحرية، وإتقانهم لأساليب القتال البحري خلال مدة زمنية قصيرة.

الكلمات المفتاحية: زمن الخليفة عثمان بن عفان، الأسطول الإسلامي، الحروب البحرية.

Halife Hz. Osman Döneminde İslam Donanmasının Kurulması ve Gelişmesi

Öz: Donanma İslam Devleti tarihinde etkin rol oynamıştır. Bu araştırmanın amacı donanmanın Hz. Osman zamanında kurulmasını araştırmaktır. İslam donanması Muaviye b. Ebi Süfyan tarafından kuruldu ve bu maksatla tersaneler yapıldı. Kıbrıs'a gönderilen donanma sayesinde ada halkı teslim oldu. Kıbrıs'ın fethinden sonra donanmanın Bizans'ın deniz hakimiyetine karşı koymada daha büyük payı olmuştur. Rodos, Arvad, Girit ve Sicilya adalarına akınlar yapılabilmektedir. Zatu's-Savari savaşında müslümanlar, aslında bir Bizans taktiği olan gemileri birbirine bağlamak suretiyle Bizans donanmasını mağlup ettiler. Bu da müslümanların kısa zamanda deniz savaşlarında tecrübe kazandıklarını göstermektedir.

Anahtar Kelimeler: Hz. Osman dönemi; İslam donanması; deniz savaşları.

The Foundation and Development of Islamic Fleet at The Time of Khalif Othman bin Affan

Abstract: Islamic Fleet played a prominent role in the history of Islamic state. This research aimed at examining the foundation and development of Fleet at the time of khalif Othman

Bin Affan. Islamic Fleet was established by Mu'awya Bin Abi Sufyan who constructed harbors and installations. After preparing the fleet, he set off for Cyprus where he subdued its people and signed a treaty with them. After that, Islamic Fleet started to play a big role in competing with Byzantines in their marine authority. This happened by conquering and subduing Cyprus and making it a centre for Muslims. Then Muslims were able to conquer Rodus, Arward and kos and attacked Crete and Sicily. Byzantines considered the movements of Islamic Fleet as something provocative. Therefore, they did their best to defeat it in al-Sawary battle through which Muslims were victorious when they connected their ships together, using the same way of Byzantines in their fighting. This indicated the development of Muslims marine capabilities and mastery of marine fighting methods in a short period of time.

Keywords: The Time of Khalif Othman bin Affan, Islamic fleet, sea battles.

İktibas/Citation: Tariq Mohammed al-Azzam - Mohammad Ali al-Rousan, "Halife Hz. Osman Döneminde İslam Donanmasının Kurulması ve Gelişmesi", *Usûl*, 12 (2009/2), 99 - 130.

I. تمهيد

كان لموقع شبه الجزيرة العربية المشرف على عدد من البحار الدور الكبير في معرفة العرب للبحر والإبحار في الجزيرة العربية قبل الإسلام، وكما كان لموقع الجزيرة العربية المتوسط بين قارات العالم القديم الدور في دفع العرب إلى لعب دور الوسيط، ونقطة الوصل بين دول العالم القديم في مجال التجارة، فقد استطاع العرب في جنوب الجزيرة وسواحل الخليج وعمان وبلاد الرافدين أن يقيموا علاقات تجارية مع الهند تعود بتاريخها إلى الألف الثالث قبل الميلاد، كذلك استطاع اليمينيون قبل الميلاد أن يقيموا علاقات تجارية مع الحبشة ومصر.

¹ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت: دار العلم للملايين، بغداد: مكتبة المثنى، ط: ٢، ١٩٨٠م، ج ٧، ص ٢٥٦، ٢٨١. ٢٦٢. نقولا زيادة، الجغرافية والرحلات عند العرب، بيروت: مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، ١٩٦٢م، ص ٢١٥، ٢١٨، سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م، ص ٥٥-٦١، أحمد مختار العبادي، السيد عبد العزيز، تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ج ٢، القاهرة: مؤسسة شباب الجامعة، ج ٢، ص ١٣، لطفي عبد الوهاب يحيى، العرب في العصور القديمة، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام، القاهرة: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦م، ص ٣٢٦-٣٢٨.

^٢ سيد مقبول احمد، العلاقات العربية الهندية، تعريب: نقولا زيادة، بيروت: الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٤م، ص ١١٥.

^٣ للمزيد عن النشاط البحري العربي في الجزيرة انظر: جواد علي، المفصل، ج ٧، ص ٢٥٦، ٢٥٩. ٢٦٦، لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور القديمة، ص ٣٢٩. ٣٢٣.

ومع ظهور الإسلام أسس العرب المسلمون أسطولاً بحرياً لعب دوراً مهماً وفعالاً في تاريخ الدولة الإسلامية، استطاع المسلمون من خلاله فرض نفوذهم وسيادتهم على كثير من الجزر والمواقع البحرية، كما استطاعوا إنهاء قرون الاحتكار البيزنطي للبحر المتوسط، ولهذا، ولما للموضوع من أهمية، فقد جاء هذا البحث بهدف توضيح ظروف نشأة هذا الأسطول الإسلامي زمن الخليفة عثمان بن عفان ومراحل تأسيسه وتطوره، من خلال تقصي الروايات التاريخية الإسلامية وتحليلها، في ضوء وجود مصادر إسلامية لم تدرس بشكل كاف تتناول بشيء من التفصيل الأسطول الإسلامي ونشأته وتطوره، ومن أهمها كتاب الفتوح لابن أعمش.

II. سياسة المسلمين البحرية

بدأ اهتمام المسلمين بالبحر مع حركة الفتوحات الإسلامية، إذ استطاع المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب فتح بلاد الشام والعراق وبلاد فارس ومصر وبرقة وطرابلس، وقد ضمت هذه المناطق المفتوحة سواحل واسعة، لهذا كان على المسلمين مواجهة مسألة مهمة تتمثل في حماية السواحل التي تمتد على طول المناطق الإسلامية المفتوحة، وخاصة أنها بقيت مناطق دائمة التعرض لهجمات البيزنطيين البحرية، لهذا أدرك المسلمون زمن الخليفة عمر بن الخطاب أهمية وضع سياسة دفاعية لمواجهة الخطر البيزنطي الذي بدأ يشدد ضرباته عليها، وذلك من خلال شحن السواحل بالجنود وتحصين الحصون فيها.

وفي خلافة عثمان بن عفان استمرت السياسة الدفاعية الوسيلة الوحيدة في الدفاع عن السواحل في الشام خاصة ومصر، كما كانت في خلافة عمر بن

¹ السيد عبد العزيز سالم. أحمد العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، ج ١، القاهرة: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٣م، ج ١، ص ١٥.

² انظر: أحمد بن يحيى البلاذري، فتوح البلدان، نشره ووضع ملاحقه صلاح الدين المنجد، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٦م، ص ١٥٠، ١٥٨، ١٦٩، ١٧٥، قدامة بن جعفر، (ت ٣٢٩هـ/٩٤٠م)، الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتحقيق: محمد الزبيدي، بغداد: دار الرشيد، ١٩٨١م، ص ٢٩٥، إبراهيم العدوي، الأمويون والبيزنطيون، البحر المتوسط بحيرة إسلامية، القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، ط: ٢، ١٩٦٣م، ص ٨٤، ٨٣.

الخطاب، وذلك بالاعتماد على تحصين السواحل، وتكليف المرابطة بحمايتها الذين كانوا يلزمون السواحل طوال فترة صلاحية الملاحة في البحر.

ويظهر أن سيطرة المسلمين على السواحل الشامية لم تكن تامة، ولم تخضع مدن الساحل في الشام إلا في مرحلة متأخرة من الفتح، فلم تفتح مدينة طرابلس إلا في خلافة عثمان حصار طويل وشاق، كما أن الوجود الإسلامي لم يكن فعالاً في الساحل الشامي بحيث يحميها من هجمات الروم، فقد استطاع الروم البيزنطيون السيطرة على عدد من مدن سواحل الشام في أواخر خلافة عمر بن الخطاب وبداية خلافة عثمان بن عفان، لمدة عامين كاملين^٦.

كما كان أمر إبقاء المرابطة لفترة محددة من الزمن كل عام يشكل خطورة على المسلمين والسواحل، عبر ترك المسلمين السواحل فترة من الزمن دونما حماية مما يسمح للروم بمهاجمتها خلال تلك الفترة، الأمر الذي دفع الخليفة عثمان بن عفان إلى اتخاذ سياسة أكثر فعالية وأكثر ديمومة، عبر توطين المرابطة في السواحل بشكل دائم، وتوزيع الوجود الإسلامي العسكري على كل السواحل خاصة المناطق التي خلت من سكانها الروم، الذين هربوا خلال حركة الفتح الإسلامي، لهذا أمر عثمان بن عفان معاوية بتحصين السواحل في الشام وترميمها وشحنها بالمقاتلة، وأن يقوم بإقطاع من ينزلها من المقاتلة القطائع^٧.

^٦ البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٢، ١٥٨.

^٧ نبيه عاقل، موقف سكان بلاد الشام من الفتح، المؤتمر الدولي الرابع لبلاد الشام، الندوة الثانية، تحرير: محمد البيخيت وإحسان عباس، الجامعة الأردنية، جامعة اليرموك، المجلد الثالث، ١٩٨٧م، ص ١٧٣.

^٨ انظر: التفاصيل البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٠-١٥١، قدامة، الخراج، ص ٢٩٥-٢٩٦.

^٩ البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٠، وانظر: قدامة، الخراج، ص ٢٩٥.

^{١٠} عمر عبد السلام تدمري، الفتح الإسلامي وسياسة الإسكان لساحل دمشق (لبنان)، المؤتمر الدولي الرابع لبلاد الشام، الندوة الثانية، تحرير محمد البيخيت وإحسان عباس، الجامعة الأردنية، جامعة اليرموك، المجلد الثاني، ١٩٨٧م، ص ٣٥٨، ٣٧٢.

^{١١} البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٢.

كذلك طبق معاوية هذه السياسة عندما أعاد فتح مدن السواحل في الشام التي احتلتها الروم من قبل، فقد قام بتحسينها وتوزيع القطائع فيها على المقاتلة^{١١}، وقد أكد الخليفة عثمان بن عفان هذه السياسة لما لها من أهمية في تحصين السواحل بالمقاتلة، بعد سماحه لمعاوية بغزو البحر، بأن يقطع المقاتلة الأراضي والمنازل التي تركها أصحابها من الروم، وأن يبني المساجد لهم، وأن يوسع المساجد التي بنيت من قبل، ويظهر أن هذه السياسة قد أثمرت في زيادة عدد سكان السواحل من قبل المسلمين وزيادة قدراتهم العددية في مواجهة أية هجمات على السواحل من قبل الروم، وإلى هذا يشير البلاذري نقلاً عن الوضين الخزاعي (ت ١٤٩هـ/٧٦٦م)^{١٢} في تعقيبه على هذه السياسة قوله: "ثم إن الناس بعد انتقلوا إلى السواحل من كل ناحية"^{١٣}، وقد أصبحت هذه سياسة عامة طبقت في معظم سواحل الشام، فطبقت في أنطاكية^{١٤}، بل لم تقتصر هذه السياسة على توطين المسلمين فقط، فقد اتجه معاوية لتوطين غير المسلمين وإسكانهم السواحل بهدف حمايتها، كما فعل بطرابلس بإسكانها جماعة من اليهود^{١٥}، من يهود الأردن^{١٦}، وفي مصر استمرت السياسة الدفاعية في إبقاء عدد كبير من المرابطة على السواحل في الإسكندرية وباقي السواحل لحمايتها^{١٧}.

لكن هذه السياسة الدفاعية سرعان ما ثبت عدم قدرتها على مواجهة التحديات الرومية، ففي عام (٢٥هـ/٦٤٥م) استطاع الروم احتلال مدينة الإسكندرية بقيادة

^{١١} البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٠، قدامة، الخراج، ص ٢٩٥.

^{١٢} انظر: علي بن الحسن ابن عساكر. (١١٧٥هـ/٥٧١م). تاريخ دمشق، تحقيق: عمر بن عرامة العمري، بيروت: دار الفكر، ط: ١، ١٩٩٦م، ج ٦٣، ص ٤٦٤٥.

^{١٣} البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٢.

^{١٤} البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٧٥.

^{١٥} البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥١، قدامة، الخراج، ص ٢٩٦، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٢١، ص ٣٥٦.

^{١٦} ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٢١، ص ٣٥٦.

^{١٧} عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم، (ت ٢٥٧هـ/٨٧٠م)، فتوح مصر وأخبارها، تحقيق: محمد الحجيري، بيروت: دار الفكر، ط: ١، ١٩٩٦م، ص ٣٢٤، البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٦٢.

القائد الرومي مانويل وقتل الحامية الإسلامية المرابطة فيها، ثم سعوا لدخول مصر والسيطرة على باقي الأراضي المصرية من خلالها، لكن المسلمين سرعان ما تصدوا لهذا الأمر بتولية الخليفة عثمان بن عفان عمرو بن العاص قتالهم، فاستطاع عمرو هزيمتهم عند نيقوس، والانتصار عليهم في البر والبحر، وإجبارهم على ترك الإسكندرية والهروب" بعد أن أحرق عدداً كبيراً من سفنهم".

III. تأسيس الأسطول الإسلامي وتطوره

كان لفشل السياسة الدفاعية في السواحل الإسلامية التي اتبعتها المسلمون زمن الخليفتين عمر وعثمان في الشام ومصر، والتي أثبت عدم كفاءتها في مواجهة خطر الروم، أن عاد معاوية ليطلب مرة أخرى بالسماح له بتأسيس أسطول بحري وغزو البحر، فكتب إلى الخليفة عثمان يطالبه بالسماح له بغزو قبرص، موضحاً قربها من الساحل الشامي وسهولة السيطرة عليها، لكن عثمان لم يسمح له بغزو البحر إلا في سنة (٢٧هـ/٦٤٧م)" ، وبشروط أولها أن يحمل معه زوجته"، كما اشترط عليه أن لا يجبر أحداً على المشاركة في الغزو، وأن يكون خيار المشاركة للمسلمين طوعاً دون إكراه لأحد"، إضافة لاشتراطه بقاء تعزيزات ومرابطة عسكرية إسلامية على السواحل، وأن يكون عداد الأسطول المتوجه إلى قبرص من غيرهم (أي المرابطة)" ، ويظهر أن السبب في اشتراط عثمان على معاوية أن يكون المسلمون المشاركون

^{١١} انظر: التفاصيل، ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٣٠٠-٣٠٢، البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٦٠-٢٦١، عبد الرحمن بن كمال الدين السيوطي، (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج ٢، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٨م، ج ١، ص ١٤٢، السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية ١٠٨١-١٠٢٢م، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٦٥م، ص ١٤١.

^{١٢} عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية، ج ١، ص ١٨.

^{١٣} البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٨١، الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٢٦٠، العبادي، تاريخ البحرية، ج ٢، ص ١٧.

^{١٤} البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٨١.

^{١٥} محمد بن جرير الطبري، (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٧م، ج ٤، ص ٢٦٠.

^{١٦} البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٢، علي محمود فهيم، التنظيم البحري الإسلامي في شرق المتوسط من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادي، ترجمة: قاسم عبده قاسم، بيروت: دار الوحدة، ط ٢، ١٩٨١م، ص ٥٩.

بغزو قبرص من المتطوعين، يعود لأنها تجربة المسلمين الأولى في البحر المتوسط، كما أنها تعد مخاطرة بسبب سعي المسلمين لمواجهة الروم في البحر الذين برعوا فيه.

ولكن قبل البدء في تفاصيل غزو المسلمين البحر، لا بد من البحث في الأسباب التي دفعت المسلمين وعلى رأسهم معاوية، التوجه للغزو البحري وتأسيس أسطول، وقد وردت في المراجع التاريخية الحديثة كثير من العوامل، لكن كثيراً منها لا يوضح هذه الأسباب، ولا يأتي بالأسباب كلها كاملة، أو قد يأتي بأسباب ويترك أخرى^{٢١}، وهنا سيعرض البحث محاولة لتقصي أهم هذه الأسباب وهي كما يلي:

أولاً: فشل سياسة المسلمين الدفاعية في الشام ومصر، وقد وضح هذا الفشل من خلال سيطرة البيزنطيين على مناطق من الساحل الشامي لمدة عامين كاملين وأواخر خلافة عمر وبداية خلافة عثمان^{٢٢}، كما وضح أيضاً الفشل في سيطرة البيزنطيين على الإسكندرية عام (٦٤٥هـ/٦٤٥م) ومحاولتهم دخول مصر^{٢٣}، لهذا، ونتيجة لفشل السياسة الدفاعية في وقف هجمات البيزنطيين على السواحل الإسلامية^{٢٤}، فقد اتجه المسلمون للتفكير في سياسة أقدر على مواجهة الخطر البيزنطي البحري وأكثر في فعالية.

^{٢١} من هذه الأسباب ما يذكره د. السيد عبد العزيز سالم، و د. أحمد العبادي، في كتابهما تاريخ البحرية، وهي ما يلي:

١- سعي المسلمين للسيطرة على القسطنطينية.

٢- توافر المواد الخام والأيدي العاملة الماهرة.

٣- ارتباط مصر والشام وتضامتهما في العمليات الحربية ضد البيزنطيين، انظر للمزيد: عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية، ج ١، ص ٢٦٢١، والمدقق في الأسباب السابقة الذكر يجد أن هناك أسباباً أخرى لها دورها في دفع المسلمين لبناء الأسطول الإسلامي زمن عثمان بن عفان.

^{٢٢} البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٠، قدامة بن جعفر، الخراج، ص ٢٩٥، عمر تدمري، الفتح الإسلامي، ص ٣٥٨.

^{٢٣} ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ٣٠٠-٣٠٢، البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٦٠-٢٦١، السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص ١٤٢.

^{٢٤} أرشيبالد ر. لويس. القوى البحرية في حوض البحر المتوسط (٥٠٠-١١٠٠م)، ترجمة: أحمد عيسى، مراجعة وتقديم: محمد غربال، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ص ٨٩، إبراهيم العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ٨١، ماهر، البحرية،

ثانياً: الرغبة في توسعة رقعة الدولة الإسلامية ومهاجمة البيزنطيين في حصونهم ومراكزهم البحرية في البحر المتوسط".

ثالثاً: اكتشاف المسلمين أن قوة البيزنطيين تكمن في البحر، لهذا هدف المسلمون إلى منافستهم فيها، ومحاولة ضرب قوتهم البحرية في الصميم، ورغبة أيضاً في استخدام ذات الأسلحة التي يستخدمها أعداؤهم، وذلك إدراكاً منهم لحيوية وأهمية هذه القوة".

رابعاً: العامل الديني، ولا يقصد به فقط الرغبة في الجهاد في سبيل الله في ميدان الغزو البحري، كما جرى الحال في الميدان البري، وإنما يقصد به أيضاً الحماسة الدينية الكبيرة لغزو البحر لحديث الرسول (ص) لأم حرام الأنصارية زوجة الصحابي عبادة بن الصامت الأنصاري، في حثه (ص) على غزو البحر وأفضلية وأجر أول من يشارك فيه، فقد ورد أن الرسول (ص) نام في بيت أم حرام، ثم استيقظ وهو يضحك، فسألته أم حرام عن سبب ضحكك (ص)، فرد (ص) بقوله: "ناس من أمتي، عرضوا عليّ غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة" فطلبت أم حرام من الرسول (ص) أن يدعو الله لها أن تكون فيهم، فدعا لها (ص)، وقال: "أنت من الأولين"، وفي هذا الحديث

Ali Mohamed Fahmy, *Muslim Sea-Power, In The Eastern Mediterranean, from the seventh to tenth century A.D.*, the general Egyptian book organization, 1980, Egypt, p78.

^{٢٢} عواد مجيد الأعظمي، بلاد الشام . الأرضية والقاعدة في التطوع العربي الإسلامي لفتح مدينة القسطنطينية دراسة عسكرية . حضارية، المؤتمر الدولي الرابع لبلاد الشام، الندوة الثانية، تحرير محمد الخيت وأحسن عباس، الجامعة الأردنية، جامعة اليرموك، المجلد الثالث، ١٩٨٧م، ص ٣٢٧، سيدة إسماعيل كاشف، مصر في فجر الإسلام، من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٤م، ص ٨٩.

^{٢٣} أرشيبالد لويس، القوى البحرية، ص ٨٧، ٨٩.

^{٢٤} فهمي، التنظيم البحري، ص ١٣٠.

Fahmy, *Muslim Sea-Power*, p78, George Ostrogorsky, *History of the Byzantine State*, Translated from the german by Joan Hussey, Basil Blackwell, Great Britain, 1984, p116.

^{٢٥} محمد بن إسماعيل البخاري، (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م)، صحيح البخاري، ضبط النص: محمود نصار، بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ٢٠٠٢م، ص ٥١٥، ٥١٧، ٥٢٩، ٥٣٢، ٧٦١، ٧٦٢، [32] محمد بن سعد، (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ١٠، ١٩٩٧م، ج ٨، ص ٣٢٠.

حث للمسلمين على غزو البحر، وأن أوائل من يركبون البحر قد جعل الله أجرهم الجنة، وقد ورد هذا المعنى في قوله (ص) أيضاً: "أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا"³³، وقد كان لهذا الحديث دور كبير في تشجيع كثير من الصحابة والمسلمين في الشام على المشاركة في الغزو، ولا يستبعد أن يكون هذا الحديث من أسباب معاوية الخاصة لغزو البحر وتأسيس الأسطول الإسلامي، وخاصة أن هذا الحديث كان يروى في بلاد الشام، ويجند حمص تحديداً³⁴، وفي ساحل جند حمص³⁵، من قبل عبادة بن الصامت وزوجته أم حرام الأنصارية، مما يدل على مدى انتشار صدى هذا الحديث في الشام مشاركة العديد من الصحابة في غزو قبرص، كما أن انتشار هذا الحديث قد يفسر أن الغزو الأول للبحر انطلق من الشام، وليس من مصر.

خامساً: استقرار الأوضاع، وتوطد نفوذ المسلمين في بلاد الشام ومصر زمن الخليفة عثمان بن عفان، الأمر الذي جعل لهم القدرة على توجيه جهد جديد لغزو البحر، وإلى هذا الأمر يشير ابن أعمش (ت ٣١٤هـ/٩٢٦م) في كتابه الفتوح بقوله: "واستقر معاوية في الشام وخضعت له جميع أطرافها وسواحل البحر، وكان يجبي الخراج، وقد سكن المسلمون هناك، وأقاموا المساجد وتوطنوها حتى صارت الشام بلاداً إسلامية، أما عمرو بن العاص فقد أتم فتح مصر، واستقر في الإسكندرية"³⁶.

ومن خلال ما سبق يظهر أن عوامل عدة دفعت بمعاوية لغزو البحر وتأسيس الأسطول، وقد يكون أهمها رغبته في حماية سواحل الشام من البيزنطيين ومنافستهم في نفوذهم في البحر المتوسط، بل ربما السعي للقضاء على وجودهم

³³ البخاري، الصحيح، ص ٥٢٧، أوجبوا: أي وجبت لهم الجنة، انظر: محمد بن منظور. (ت ٧١١هـ/١٣١١م). لسان العرب، دمشق: دار صادر، مادة وجب.

³⁴ البخاري، الصحيح، ص ٥٢٧.

³⁵ سليمان بن أحمد الطبراني، (٣٦٠هـ/٩٧٠م)، مسند الشاميين، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط: ٢، ١٩٩٦م، ج ١، ص ٢٥٧، أحمد بن عبد الله الأصبهاني. (ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، بيروت:

دار الكتاب العربي، ط: ٤، ١٩٨٥م، ج ٢، ص ٦٢، ج ٥، ص ١٥٦.

³⁶ أحمد بن أعمش الكوفي، (ت ٣١٤هـ/٩٢٦م)، الفتوح، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م، ج ١، ص ٢٦٥.

في البحر المتوسط كلياً، وبهذا، وبعد سماح الخليفة عثمان بن عفان لمعاوية بغزو قبرص وبناء الأسطول، بدأ معاوية باتخاذ مجموعة من الخطوات لتحقيق ذلك. وكان أولها تحصين السواحل، والتي كان قد بدأ في تحصينها منذ خلافة عمر وأوائل خلافة عثمان، حيث قام معاوية ببناء أنطرطوس (مدينة طرطوس السورية حالياً) وتمصيرها، وأقطع بها المقاتلة، كذلك فعل بمرقية وبلنياس وبيت سلمية^{٣٧}، وغيرها من المدن.

ثم خطا معاوية الخطوة الأهم وهي تأسيس الأسطول وإيجاد مركز له، وذلك بقيامه بترميم مدينتي عكا وصور من سواحل الأردن، وتجديد دور الصناعة فيهما^{٣٨}، والتي كانت (أي دور الصناعة) موجودة بهما منذ العصر البيزنطي^{٣٩}، وقد كانت عكا في العصر البيزنطي من أبرز قواعد الأسطول البيزنطي، وأهم مراكز صناعة السفن في القرن السابع الميلادي^{٤٠}، الأمر الذي يؤكد أن الترميم لم يكن لمدينتي عكا وصور فقط، إنما لدور الصناعة بهما، وأن معاوية اختار عكا لينطلق منها إلى غزو قبرص، رغم أنها نقطة أبعد من سواحل حمص على المتوسط، التي أشار إلى قربها من قبرص من قبل في كتابه للخليفة عمر بن الخطاب^{٤١}، ثم من بعده للخليفة عثمان بن عفان^{٤٢} ويبدو أن ترميم دور الصناعة في كل من عكا وصور كان بهدف بناء وتجهيز السفن لغزو قبرص، ويظهر أن معاوية قد اعتمد على خبرات السكان المحليين في الشام لبناء الأسطول^{٤٣}، ويؤكد هذا الرأي رواية انفرد بها ابن أعثم

^{٣٧} البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٨، قدامة، الخراج، ص ٢٩٨، عواد مجيد الأعظمي، بلاد الشام، ص ٢٣٩.

^{٣٨} البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٤٠، قدامة، الخراج، ص ٢٩٠، ياقوت بن عبد الله الحموي، (ت ١٢٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، تحقيق: فريد بن عبد العزيز الجندي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م، ج ٤، ص ١٦٢، مادة عكا، وانظر: أرشيبالد لويس، القوى البحرية، ص ٢٩، ٩٠، فهمي، التنظيم البحري، ص ٥٩، عواد الأعظمي، بلاد الشام، ص ٢٣٩.

^{٣٩} أرشيبالد لويس، القوى البحرية، ص ٢٩، ٤٨، ٩٠.

^{٤٠} أرشيبالد لويس، القوى البحرية، ص ٤٨.

^{٤١} الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٢٥٨، ٢٥٩، "إن قرية من قرى حمص ليسمع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم"، وانظر: احمد بن أعثم الكوفي، (ت ٣١٤هـ/٩٢٦م)، الفتوح، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م، ص ١٠، ص ٢٦٣.

^{٤٢} انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٨١، ابن أعثم، الفتوح، ص ١٠، ص ٣٤٧.

^{٤٣} فهمي، التنظيم البحري، ص ٥٩.

الكوفي في كتابه الفتوح، بأن معاوية كتب لأهالي السواحل في الشام بأن يقوموا بترميم وإصلاح المراكب التي كانت في الموانئ الشامية، وتقريبها إلى ساحل عكا، فأصلحت المراكب بناء على ذلك، وقربت من ساحل عكا، وهذه الرواية تؤكد أن سفن الأسطول الشامي الذي غزا قبرص لم تصنع في مصر، كما تشير إلى ذلك بعض المراجع الحديثة^{١١}، فالروايات في المصادر المبكرة لا تشير إلى بناء الأسطول الشامي في مصر^{١٢}، كما لا تشير المصادر أيضا إلى اشتراك المصريين في غزو قبرص إلا في رواية الطبري (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) عن الواقدي (ت ٢٠٧هـ/٨٢٢م)، في حين ينقل البلاذري (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) في كتابه فتوح البلدان روايته الرئيسية عن غزو قبرص عن الواقدي أيضا، لكنه لا يشير إطلاقاً إلى مشاركة أهل مصر في غزو قبرص^{١٣}، والمؤكد أن الأسطول الشامي استفاد من خبرات أهل الشام في بناء سفن الأسطول^{١٤}، وخاصة أن أهل الشام عرفوا صناعة السفن منذ زمن البيزنطيين، بل إن من المحتمل أن السفن الإسلامية الأولى بنيت على النمط البيزنطي والروماني السابق^{١٥}، لكن المؤكد هنا أن دور مصر اقتصر على إمداد معاوية بعدد من القبط للاستفادة منهم في بناء وتسيير الأسطول، فقد شارك عدد منهم مشاركة فعلية في غزو قبرص، ودليل ذلك رغبة معاوية بن أبي سفيان أن يقسم لهم سهماً من الغنائم، واعتراض أبي ذر الغفاري على ذلك^{١٦}.

^{١١} ابن أعمش، الفتوح، ج ١، ص ٣٤٨.

^{١٢} إبراهيم العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ٩٠، فهمي، التنظيم البحري، ص ٦٠.

^{١٣} انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٨١-١٨٣، الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٢٥٨-٢٦٢.

^{١٤} انظر: الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٢٦٢، وقارن برواية البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٨١.

^{١٥} انظر: عبد الرحمن بن خلدون، (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، المقدمة، بيروت: دار العلم للجميع، ص ٢٥٣، عمر تدمري، الفتح الإسلامي، ص ٣٦٢.

^{١٦} فهمي، التنظيم البحري، ص ١٣١.

^{١٧} الطبراني، مسند الشاميين، ج ١، ص ٢٥٧، الأصبهاني، حلية الأولياء، ج ٥، ص ١٣٤، ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج ٦٦، ص ١٩٣، عمر تدمري، الفتح الإسلامي، ص ٣٦٣، ٣٦٢.

وإضافة لتجهيز وبناء معاوية الأسطول، عين قيادة مستقلة للأسطول والبحر بهدف أن تتولى الإشراف على تجهيز الأسطول وقيادته، ومتابعة أموره، لهذا ولي عبد الله بن قيس الجاسي الفزاري على البحر في الشام، والذي يبدو أنه اضطلع بدور الاستطلاع وجمع المعلومات عن أحوال البيزنطيين واستعداداتهم العسكرية في جزر المتوسط عبر تخفيه بزي التجار، وقد كان اختيار عبد الله بن قيس لهذا الأمر لأنه كان أعرف الناس بسواحل الشام، فقد كان أميرها (أي أمير السواحل) زمن عمر بن الخطاب، والمسؤول عن حمايتها والدفاع عنها.

ويعد انتهاء استعدادات معاوية وتجهيزات بناء وإعداد الأسطول الإسلامي، انطلق معاوية على رأس الأسطول الإسلامي من ميناء عكا عام (٥٢٨/٦٤٨م) باتجاه قبرص، وكان تعدادها (٢٢٠) مركباً، بينما يورد المنبجي أن عدد المراكب الإسلامية كان ألفاً وسبعمائة سفينة، وكان برفقة معاوية زوجته فاخنة بنت قرظة، وعدد آخر من الصحابة على رأسهم عبادة بن الصامت وزوجته أم حرام بنت ملحان الأنصارية التي بشرها الرسول (ص) بركوب البحر والمشاركة في الغزو فيه، إضافة إلى عدد من الصحابة، ولا تدل المشاركة الكبيرة من الصحابة في هذه الغزوة إلا على رغبة الصحابة في الجهاد وأن يكونوا من أوائل غزاة البحر من المسلمين، الذين وصفهم

^{٥١} الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٢٦٠-٢٦١، العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ٧٢.

^{٥٢} الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٦٤، ٦٦.

^{٥٣} ابن أعمش، الفتوح، ١م، ص ٣٤٨.

^{٥٤} اغايوس بن قسطنطين المنبجي، (ق ١٠/٥٤٤م)، المنتخب من تاريخ المنبجي، انتخبه وحققه: عمر عبد السلام تدمري، طرابلس، لبنان: دار المنصور، ١٩٨٦م، ص ٥٥، وانظر: أرشيبالد لويس، القوى البحرية، ص ٩٠.

^{٥٥} خليفة بن خياط، (ت ٢٤٠/٨٥٤م)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، بيروت، دمشق: دار القلم، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط: ١٩٧٧م، ص ١٦٠، قدامة، الخراج، ص ٣٠٦.

^{٥٦} البخاري، الصحيح، ص ٥١٥.

^{٥٧} كان المشاركون في غزوة قبرص الأولى من الصحابة هم: أبو أيوب الأنصاري، وأبو ذر الغفاري، وفضالة بن عبيد الأنصاري، وعمر بن عبيد الأنصاري، ووائله بن الأسقع الكناني، وعبد الله بن بشر المازني، وشداد بن أوس الأنصاري، والمقداد، وكعب البحر من ماتب، وجبير بن نفيير الحضرمي، انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٨٢، وابن عساکر، تاريخ دمشق، ج ٦٦، ص ٢٢٨، ج ٢٧، ص ١٣٩، ج ٤٧، ص ١٨٦، ج ٤٦، ص ٥٦، ج ٧٠، ص ٢١٧.

الرسول (ص) في حديثه لأم حرام الأنصارية، وليس بتأثير من معاوية، كما يرى بعض المؤرخين المحدثين، من أن مشاركة الصحابة جاءت بإيحاء من معاوية وطلب منه، بهدف أن يصبغ حملته بصبغة الجهاد^{٢٨}، فالكثير من الصحابة انتقل من مكان سكنه في الشام إلى عكا لأجل المشاركة^{٢٩}، وليس بتأثير من معاوية الذي لم يحمل معه إلا المتطوعين.

وقد استطاع الأسطول الإسلامي بقيادة معاوية أن يحاصر عاصمة جزيرة قبرص وأن يجبر أهلها على توقيع معاهدة صلح^{٣٠}، والتي تعهد خلالها أهل قبرص بدفع جزية سنوية، إضافة لالتزامهم الحياد في القتال بين البيزنطيين والمسلمين، أن يقوموا بتحذير المسلمين من أي هجوم قد يشن عليهم^{٣١}، بحيث أصبح للمسلمين نفوذ سياسي وعسكري على جزيرة قبرص كما للبيزنطيين عليها، الأمر الذي يفسر إشارة المنبجي (ق٤٤هـ/١٠م) لنتائج غزو المسلمين قبرص بقوله أن العرب والروم اقتسموا قبرص بينهما نصفين^{٣٢}، مما يؤكد أن غزوة معاوية كانت غزوة قوية ومؤثرة هزت الوجود البيزنطي، وأكدت قوة وقدرة الأسطول الإسلامي^{٣٣}، كما أن غزو قبرص حرم البيزنطيين من إحدى أهم مراكز الأسطول البيزنطي الإستراتيجية في المتوسط^{٣٤}.

وقد عاد الأسطول الإسلامي بعد ذلك محملاً بالغنائم، حيث رسا في طرسوس (مدينة طرسوس السورية حالياً) من ساحل حمص^{٣٥}، مما يؤكد أن سواحل وموانئ

^{٢٨} العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ٩٠.

^{٢٩} يشير ابن عساکر في تاريخ دمشق إلى انتقال عبد الله بن بسر المازني من دمشق، وتوجهه إلى عكا للمشاركة في غزو قبرص، كذلك فعل عتبة بن عبد السلمي أيضاً، انظر: ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج ٢٧، ص ١٤٠، ج ٣٨، ص ٢٧٥.

^{٣٠} ابن أعمش، الفتوح، ١م، ص ٣٤٩، الباز العريبي، الدولة البيزنطية، ص ١٤٢، العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ٩١، Ostrogorsky, *History of the Byzantine State*, p116

^{٣١} انظر: تفاصيل الصلح، البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٨١، الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٢٦٢، ابن أعمش، الفتوح، ص ٣٤٩.

^{٣٢} المنبجي، تاريخ، ص ٣١.

^{٣٣} Fahmy, *Muslim Sea-Power*, pp81-82.

^{٣٤} Ostrogorsky, *History of the Byzantine State*, p116.

^{٣٥} الأصبهاني، حلية الأولياء، ج ٥، ص ١٣٤، ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج ٦، ص ١٩٣.

الشم كانت مجهزة لرسو هذا العدد الكبير من السفن، وأن انطلاق معاوية من عكا لم يكن مجرد صدفة، بل لأنها كانت مركز تأسيس وإنشاء الأسطول الإسلامي، ومكان دار الصناعة الأمم.

وقد استطاع معاوية خلال غزوة قبرص أن يحقق أول نصر بحري للمسلمين، وأن يحرم البيزنطيين من أحد قواعدهم البحرية المهمة في البحر المتوسط^{٣٦}، وأن ينشئ مركزاً مهماً لهم للتموين أثناء مهاجمتهم السواحل الإسلامية في الشام^{٣٧}، كما استطاع أن يوجد للمسلمين قوة بحرية ناشئة في المتوسط تنافس البيزنطيين على المتوسط وجزره، كما استطاع أن يخطو بالمسلمين خطوة متقدمة لتأسيس أسطول عربي إسلامي في الشام.

وفي مصر، يبدو أن الأسطول المصري بدأ بناؤه في ذات الوقت الذي بدأ فيه في الشام أو بعد ذلك بقليل، فلقد اشتهرت مصر قبل الفتح الإسلامي ببناء أنواع السفن المختلفة^{٣٨}، لهذا كان من السهل تأسيس وبناء الأسطول فيها، ولا تشير المصادر الإسلامية إلى خطرات بناء الأسطول الإسلامي في مصر بوضوح، على الرغم من ذكر وجود السفن التي كانت تنقل الطعام من مصر إلى الحجاز زمن عمر بن الخطاب^{٣٩}، كذلك كانت مدينة الإسكندرية من أهم المراكز التجارية في العصر البيزنطي، ومن أهم قواعده ومراكز بناء السفن في مصر^{٤٠}، فقد كانت تصنع في مصر أنواع السفن التجارية والعسكرية والتي كانت على نوعين: الأول كبير الحجم يتسع لآلاف رجل، والثاني صغير يتسع لتسعمائة رجل^{٤١}، ويبدو أن السبب في عدم ذكر

^{٣٦} أرشبالد لويس، القوى البحرية، ص ٤٧، البار العربي، الدولة البيزنطية، ١٤٢.

^{٣٧} العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ٨٩.

^{٣٨} ماهر، البحرية، ص ١٧٥، ص ١٧٤، سيرة كاتيف، مصر في فجر الإسلام، ص ٨٨، ٩٠.

^{٣٩} ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ١٢٤، ١٢٣، البلاذري، أحمد بن يحيى البلاذري، (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)، أنساب الأشراف

تحقيق: سهيل زكار، رياض زركلي، بيروت: دار الفكر، ط ١، ١٩٩٢م، ج ١٠، ص ٢٢٢، البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٥٢

^{٤٠} الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ١٠٠.

^{٤١} انظر: أرشبالد لويس، القوى البحرية، ص ٤٧، ٤٥، ٩٠.

^{٤٢} ماهر، البحرية، ص ٧٤.

خطوات لتأسيس الأسطول الإسلامي في مصر، أن المسلمين مع الفتح الإسلامي لمصر وجدوا فيها عدداً كبيراً من السفن البيزنطية الأمر الذي لم يلجئ المسلمين لبناء سفن جديدة، فقد كانت موجودة.

ويشير بعض الباحثين المحدثين إلى أن المسلمين بدأوا بعد غزو الروم الإسكندرية عام (٦٢٥هـ/٦٤٥م) بالتمرن والتدريب على ركوب البحر وبناء السفن^{١١}، وهناك إشارات تشير إلى استخدام المسلمين السفن في مصر في فترة مبكرة، من تلك الإشارات ما يشير إلى أن عمرو بن العاص في فتحه الثاني للإسكندرية واجه الروم وقاتلهم في البر والبحر^{١٢}، ومن ذلك أن عبد الله بن سعد بن أبي السرح عندما اتجه لقتال جرجير في أفريقيا عام (٦٤٧هـ/٦٤٧م) حمل الغنائم التي ضمنها من أفريقيا في السفن إلى مصر^{١٣}، مما يشير إلى بدء استخدام العرب للسفن في مصر، ولكن على نطاق ضيق، لكن الأمر تطور وخاصة بعد سماح عثمان لمعاوية بتأسيس الأسطول في الشام، فيظهر أنه بعد ذلك بدأ بتأسيس الأسطول المصري، والذي يبدو أن مكوناته كانت جاهزة من دور صناعة وملاحين قبط وسفن، حيث أصبح أسطولاً بحرياً كبيراً يضم عدداً كبيراً من السفن، ودليل ذلك أن معركة الصواري أهم معركة إسلامية بحرية كانت بقيادة الأسطول المصري.

وبعد بناء الأسطول الإسلامي في كل من مصر والشام بدأ الأسطول الإسلامي يضطلع بتنفيذ خطة بحرية محكمة، ويظهر أن واضعها كان معاوية بن أبي سفيان، وهذه الخطة اقتضت توسيع حركة النشاط البحري الإسلامي في البحر المتوسط و منافسة الأسطول البيزنطي، وضرب البيزنطيين في قواعدهم البحرية والبرية، لهذا نجد أن الأمر لا يطول بمعاوية بعد غزوة قبرص الأولى، حتى يتحرك الأسطول

^{١١} طاهر، البحرية، ص ٨٠.

^{١٢} ابن عبد الحكم، فتح مصر، ص ٣٠٠.

^{١٣} عبد الله بن محمد المالكي، (ت ١٠٥٧/١٤٤٩م)، رياض النفوس في طبقات علماء القروان وأفريقية، تحقيق: بشير الكورني، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٣م، ج ١، ص ٢٧.

الإسلامي بقيادته لمهاجمة مضيق مدينة القسطنطينية عام (٦٥٢/٥٣٢م)^{٢٥}، في محاولة ربما للاستطلاع والتمهيد لمحاولة فتح القسطنطينية^{٢٦}، ولا يخفى أيضاً أن العامل الديني ربما كان سبباً وراء هذه الغزوة البحرية لمضيق القسطنطينية بقيادة والي الشام نفسه، وذلك لحديث الرسول (ص) عن المغفرة لأول جيش يغزو القسطنطينية، والذي رواه أيضاً عبادة بن الصامت في سواحل الشام، ونصه قوله (ص): "أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم"^{٢٧}، ويظهر أن هذه الغزوة قد حققت للمسلمين انتصارات ومكاسب بدليل إشارة اليعقوبي لها في تاريخه بقوله: "فبلغوا إلى مضيق القسطنطينية، وفتحوا فتوحاً كثيرة"^{٢٨}، كما تدل هذه الغزوة على تطور قدرات المسلمين ومهاراتهم البحرية بشكل كبير وملحوظ، بدليل وصولهم إلى مضيق القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، وما يترتب على ذلك من احتمالية مواجهة الأساطيل البيزنطية الموجودة فيه بكثافة، وخطورة وقوع مواجهة كبرى بين الطرفين.

وبعد أن استطاع المسلمون أن يمتلكوا قوة بحرية ومهارة كافية في ركوب البحر، وأصبح لهم أسطول يجوب البحر المتوسط، يبدو أن أهدافهم تبدلت، ففي بداية نشاط المسلمين البحري اكتفى المسلمون بعقد معاهدة صلح ضمنت حياد أهل قبرص في الصراع بين المسلمين والبيزنطيين، لكن أهل قبرص لم يلتزموا بالاتفاق ومبدأ الحياد، وساعدوا البيزنطيين، لهذا قام المسلمين بغزو قبرص مرة ثانية بقيادة معاوية بن أبي سفيان عام (٦٥٣/٥٣٣م)^{٢٩}، وهذه المرة بقوة أكبر بكثير من الغزوة

^{٢٥} عبد الرحمن بن عمرو أبو زرعة، (ت ٢٨١/٥٨٩م)، تاريخ أبي زرعة الدمشقي، وضع حواشيه: خليل منصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٩٩٦م، ص ٤١، الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٣٠٤، أحمد بن إسحاق اليعقوبي، (ت ٢٩٢/٩٠٤م)، تاريخ اليعقوبي، علق عليه ووضع حواشيه: خليل منصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ٢، ٢٠٠٢م، ج ٢، ص ١١٧، ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج ٣٩، ص ٢١٠، ج ٥٩، ص ١١٧.

^{٢٦} عواد الأعظمي، بلاد الشام، ٣٣٨، ٣٣٧.

^{٢٧} البخاري، الصحيح، ٥٣٧.

^{٢٨} اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ١١٧.

^{٢٩} البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٨١، وانظر: ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج ٣٢، ص ١٢٧، ج ٣٩، ص ٢١٠.

الأولى، فقد خرج المسلمون بخمسمائة مركب، واستطاعوا احتلال قبرص بعد تحطيم ميناء قسطنطينا (Constantia) عاصمة الجزيرة^{٨٠}، وإخضاع أهلها وإجبارهم على الصلح، ثم سعى معاوية لجعل قبرص مركزاً متقدماً للأسطول الإسلامي في البحر المتوسط، لهذا أرسل إليها (قبرص) باثني عشر ألف مقاتل، كما نقل إليها جماعة من سكان بعلبك، وأقام للمسلمين فيها مدينة، وبنى لهم المساجد^{٨١}، ويبدو أن بناء مدينة للمسلمين كان بهدف أن تكون مركزاً وقاعدة عسكرية للمسلمين لحكم جزيرة قبرص وفرض السيطرة الإسلامية عليها، وثانياً لتكون نقطة انطلاق ودعم للأسطول الإسلامي في البحر المتوسط.

ومما يلاحظ في غزوة قبرص الثانية عام (٦٥٣/هـ٣٣) أن الأسطول الإسلامي قد تضاعف عدد مراكبه عن الغزوة الأولى، الأمر الذي يدل على نشاط دور الصناعة في الشام والاهتمام ببناء السفن، وزيادة القوة البحرية الإسلامية، الأمر الذي سمح للأسطول الشامي بالقيام بنشاط بحري أوسع وأكبر في البحر المتوسط، فيذكر ابن أعمش (ت ٣١٤/هـ٩٢٦م) غزو معاوية بن أبي سفيان جزيرة رودس، بعد مشورة الخليفة عثمان بن عفان، وأن المسلمين خرجوا من ميناء صيدا بمرافقة دليل لهم، وعند وصولهم جزيرة رودس دخلوا في معركة بحرية مع أهل رودس، استطاع المسلمون الانتصار فيها، عقبها قاموا باقتحام الجزيرة، وهناك استطاعوا أن يحصلوا على غنائم كبيرة من الأموال والرقيق، عاد بعدها الأسطول الإسلامي إلى الشام، ويورد ابن أعمش أن جزيرة رودس هجرت عقب هذه الغزوة إلى خلافة معاوية الذي عمرها وأسكنها المسلمين^{٨٢}، ومما يؤكد غزو رودس من قبل معاوية إشارة المنبجي (ق ٤٤٠/هـ١٠م) لها أيضاً، بأن معاوية وجه الجيوش إلى جزيرة رودس، وذلك في السنة الثامنة لخلافة عثمان بن عفان أي عام (٦٥٢/هـ٣٢) تقريباً، وأن المسلمين

^{٨٠} أرشيبالد لويس، القوى البحرية، ص ٩١، الباز العريني، الدولة البيزنطية، ص ١٤٢.

^{٨١} البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٨١-١٨٢، وانظر: قدامة بن جعفر، الخراج، ص ٣٠٦، أرشيبالد لويس، القوى البحرية، ص ٩١.

^{٨٢} ابن أعمش، الفتوح، م ١، ص ٣٥٢-٣٥٤، المنبجي، تاريخ، ص ٥٨، وانظر: أرشيبالد لويس، القوى البحرية، ص ٩١، الباز

استطاعوا السيطرة عليها، وإيجاد مراكز مراقبة ورصد إسلامية لهم في البحر المتوسط^{٨٥}، ومما سبق نستدل من الروايتين السابقتين أن المسلمين استطاعوا فتح جزيرة رودس والسيطرة عليها، لكنهم لم يتجهوا إلى الاستقرار فيها ووضع حاميات عسكرية إسلامية كبيرة فيها، بل تركوها مكتفين بإبقاء أعداد قليلة من الجند فيها لأجل المراقبة والترصد، وهو ما يشير إليه المنبجي في روايته.

كما يورد ابن أعمش أيضاً قوله أن الأسطول الشامي استطاع مهاجمة سواحل جزيرة صقلية^{٨٦}، كذلك يورد ابن أعمش قوله أن معاوية كلف جنادة بن أبي أمية غزو جزيرة أرواد واحتلالها، وذلك بعد مساعدة رجل رومي للمسلمين عمل دليلاً لهم، حيث خرج جنادة على رأس أربعة آلاف رجل بعشرين مركباً، فاستطاع قتل مقاتليها ومصالحة أهلها على الجزية^{٨٧}، بينما يورد المنبجي أن غزو جزيرة أرواد كان بعد مرور معاوية بها بعد عودته من غزوة قبرص الأولى، فقد حاول فتحها لكنه فشل في ذلك، فعاد في العام التالي حيث ضيق الحصار على أهلها وأجبرهم على إخلاء الجزيرة، ثم قام بهدم أسوارها وأحرق تحصيناتها^{٨٨}، والمدقق في الروايتين السابقتين يجد أن إشارة المنبجي إلى أن معاوية حاول فتح جزيرة أرواد بعد عودته من قبرص، أمر غير مستبعد إطلاقاً وخاصة أنه سبقت الإشارة إلى أن المسلمين عند عودتهم من قبرص رسوا في ساحل مدينة طرسوس، وهي تقابل جزيرة أرواد وبينهما مسافة قليلة^{٨٩}، كذلك استطاع المسلمون الاستيلاء على جزيرة كوس (Cos) (الجزيرة اليونانية الحالية)، وأيضاً قام المسلمون بشن غارات مدمرة على جزيرة

^{٨٥} المنبجي، تاريخ، ص ٥٨.

^{٨٦} ابن أعمش، الفتوح، ١م، ص ٣٦٢، المنبجي، تاريخ، ص ٥٨، أرشيبالد لويس، القوى البحرية، ص ٩١.

^{٨٧} ابن أعمش، الفتوح، ١م، ص ٣٦٧.

^{٨٨} المنبجي، تاريخ، ص ٥٦، ٥٥، العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ٩٦، ٨٣، Fahmy, *Muslim Sea-Power*, p83, 96.

^{٨٩} الأصبهاني، حلية الأولياء، ج ٥، ص ١٣٤، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٦، ص ١٩٣.

كريت^{٣٠}، ويبدو أن هدف معاوية كان من السيطرة على كل من جزيرة قبرص ورودرس وكريت تأمين الطريق البحري للأسطول الإسلامي لاحتلال القسطنطينية^{٣١} ومما سبق نجد أن الأسطول الإسلامي استطاع بفترة قصيرة جدا أن يوجد له مكانا ومراكز بحرية مهمة في البحر المتوسط، أولها وأهمها جزيرة قبرص، وجزيرتا رودس وأرواد، وبذلك فقد سعى المسلمون إلى شل تحركات البيزنطيين البحرية^{٣٢}، واستطاع الأسطول الإسلامي أن يظهر نشاطا كبيرا وواسعا في البحر المتوسط في فترة قصيرة، فالمصادر الإسلامية تشير إلى وجود حركة كبيرة للأسطول الإسلامي في البحر المتوسط زمن خلافة عثمان بن عفان، ومشاركة عدد من الصحابة فيها مثل أبي موسى الأشعري^{٣٣}، وأبي طلحة الأنصاري (زيد بن سهل الخزرجي) الذي توفي سنة (٣٤هـ/٦٥٤م) في البحر، فأبقاه المسلمون بالسفينة حتى وجدوا جزيرة فدفنوه فيها^{٣٤}.

ويظهر أن تحركات المسلمين وظهور قوتهم البحرية بشكل سريع وكبير في البحر المتوسط، ومنافستهم الأسطول البيزنطي وسعيهم القضاء على نفوذه وتفردته في البحر المتوسط، دفع البيزنطيين للسعي لمحاولة دفع هذا الخطر ومواجهته^{٣٥}، فاتجه البيزنطيون بقيادة الإمبراطور البيزنطي نفسه قنسطانز (قسطنطين بن هرقل كما

^{٣٠} الباز العربي، الدولة البيزنطية، ١٤٢، وانظر: سيدة كاشف، مصر في فجر الإسلام، ص ٨٩، محمد مرسي الشيخ. تاريخ

الإمبراطورية البيزنطية، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٤م، ص ٩٥، Fahmy, Muslim Sea-Power p84,

^{٣١} Ostrogorsky, *History of the Byzantine State*, p116. محمد الشيخ، الإمبراطورية البيزنطية، ص ٩٥، الباز

العربي، الدولة البيزنطية، ص ١٤٢.

^{٣٢} العدوي، الأمويون، والبيزنطيون، ص ٩٤.

^{٣٣} الأصبهاني، حلية الأولياء، ج ١، ص ٢٦٠، ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج ٣٢، ص ٨٧-٨٨، محمد بن أحمد الذهبي،

(ت ١٣٤٧/٨٧٤٨م)، سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة

الرسالة، ط: ١١، ١٩٩٦م، ج ٢، ص ٣٩٢.

^{٣٤} ابن سعد، الطبقات، ج ٣، ص ٣٨٥، يوسف بن عبد الله ابن عبد البر، (ت ٤٦٣/١٠٧٠م)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب،

تحقيق: علي محمد الجاوي، بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢م، ج ٢، ص ٥٥٤، ص ٤٤، ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج ١٩،

ص ٤٠٠، ص ٤٢٢-٤٢٥، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٣٤.

^{٣٥} أرشيبالد لويس، القوى البحرية، ص ٩١.

تسميه المصادر الإسلامية) إلى مواجهة هذا الخطر البحري الإسلامي، ومحاولة القضاء عليه في معركة بحرية حاسمة تقوم بين الطرفين"، فالمصادر الإسلامية تشير لهذا التحرك، ومن المؤكد أن البيزنطيين هم من سعوا لقتال المسلمين والدخول في معركة حربية معهم"، فيذكر الطبري (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) أن خروج البيزنطيين لمواجهة المسلمين كان سعياً للانتقام وللقضاء على قوتهم (أي المسلمين) البحرية الناشئة، وذلك بتجهيز قوة ضخمة وكبيرة بهدف أن تكون المعركة حاسمة، فيشير لذلك الطبري بقوله: "وخرج عامئذ قسطنطين بن هرقل لما أصاب المسلمون منهم بأفريقية، فخرجوا في جمع لم يجتمع للروم مثله قط منذ كان الإسلام، فخرجوا في خمسمائة مركب"، وتجمع المصادر الإسلامية على تحديد تاريخ هذه المعركة، وهي معركة ذات الصواري، وأنها جرت عام (٣٤هـ/٦٥٤م)، بينما ينفرد الطبري بالقول أنها عام (٣١هـ/٦٥١م)، لكن المرجح أن ذات الصواري حدثت في عام (٣٤هـ/٦٥٤م)، عقب إدراك البيزنطيين مدى خطورة الأسطول الإسلامي، وبعد سلسلة المعارك والغارات البحرية الإسلامية التي أثارت تخوف الروم، وأفقدتهم عدداً من مراكزهم البحرية في جزر البحر المتوسط.

وقد قامت المعركة بين الطرفين بالقرب من سواحل الدولة البيزنطية، ويؤكد هذا إشارة ابن عبد البر في ترجمته لعبد الله بن سعد بن أبي السرح قائد المسلمين في

^{١١} Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p116.

^{١٢} ابن أعثم، الفتوح، ١م، ص ٣٥٤، ويشير ابن أعثم إلى ذلك بقوله: "فينا المسلمون كذلك إذ وقع الخبر بأن قسطنطين بن هرقل ملك الروم قد جمع الجموع وقد عزم على غزو المسلمين في البحر".

^{١٣} الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٢٩٠، عبد الرحمن بن الجوزي، (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١٨ ج، دارسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م، ج ٥، ص ١٢، إسماعيل بن كثير، (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨م، ج ٧، ص ١٥٧.

^{١٤} محمد بن يوسف الكندي، (ت ٣٥٠هـ/٩٦١م)، ولاية مصر، تحقيق: حسين نصار، بيروت: دار صادر، ص ٣٦، البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦، ص ١٦٣، عمر بن شبة، (ت ٢٦٢هـ/٨٧٥م)، تاريخ المدينة المنورة، علق عليه وخرج أحاديثه: علي محمد دندل، ياسين بيان، بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٩٩٦م، ج ٢، ص ١٩٢، ابن عبد البر، الاستيعاب، م، ص ٣، ١٩٩، ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج ٢٩، ص ٢٦.

^{١٥} الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٢٨٨، وانظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٧، ص ١٥٧.

المعركة بقوله: "وغزا الصواري في البحر من أرض الروم سنة أربع وثلاثين"، وقد جرت المعركة تحديدا بالقرب من موضع يقال له فونكس (Phoenix)، ويقع جنوب انطاليا في سواحل آسيا الصغرى (تركيا الحالية) الجنوبية على البحر المتوسط^{١٠٠}.

ويبدو أن خبر التجهيزات والاستعدادات البيزنطية لقتالهم ومواجهتهم في البحر، وصلت المسلمين فاستعدوا بالأسطولين الشامي والمصري في ساحل مدينة عكا مركز الأسطول الإسلامي في الشام، مستعدين بالعدد والسلاح والخيول التي حملوها في المراكب^{١٠١}، ربما تحسباً لمعركة برية، وكان الأسطول الإسلامي بقيادة والي مصر والشام عبد الله بن سعد بن أبي السرح ومعاوية بن أبي سفيان^{١٠٢}، ولكن الذي تولى قيادة الأسطولين عبد الله بن سعد بن أبي السرح بمشاركة من معاوية^{١٠٣}.

وبعد إتمام المسلمين لتجهيزاتهم البحرية في عكا، انطلق الأسطول الإسلامي في البحر إلى أن التقوا بالبيزنطيين قرب الساحل، حيث استعد كل طرف للمواجهة^{١٠٤}، ويبدو أن المسلمين كانوا مستعدين للقتال في البر والبحر، كما ذكر سابقا، فقد قام ابن أبي السرح، بإنزال نصف المقاتلة من المسلمين في البر تحت قيادة بسر بن أبي أرطاة، ثم استعد للقاء قنسطانز، والذي قدم بألف مركب، والمسلمون في مائتي مركب أو أكثر قليلا، الأمر الذي أثار مخاوف المسلمين مما دفع عبد الله بن سعد إلى حث جنوده وتحريضهم على القتال أكثر من مرة، بعد

^{١٠٠} ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣، ص ٩١٩، وانظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٢٩، ص ٢٦.

^{١٠١} أرشيبالد لويس، القوى البحرية، ص ٩١، الباز العريني، الدولة البيزنطية، ١٤٢ العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ١٠٣، حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ط: ١، ١٩٨٧م، ص ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٥، يشير أرشيبالد لويس إلى حدوث المعركة قرب سواحل آسيا الصغرى عند موقع يعرف بـ (فونكس)، بينما تذكر سعاد ماهر أن المعركة حدثت قبالة السواحل المصرية قرب موقع فونكة غرب مدينة الإسكندرية، لكن إشارة ماهر لا تعدو إلا لبسا في تحديد المكان لتقارب الأسماء، كما لا دليلا تاريخيا يؤكد قولها، انظر: أرشيبالد لويس، القوى البحرية، ص ٩١، ماهر، البحرية، ص ٨٤، عواد الأعظمي، بلاد الشام، ٣٤٠. p116 *Ostrogorsky, History of the Byzantine State*.

^{١٠٢} ابن أعمش، الفتوح، ١م، ص ٣٥٤-٣٥٥، وانظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٣٩، ص ٤٢٠.

^{١٠٣} الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٢٩٠، وانظر: ابن أعمش، الفتوح، ١م، ص ٣٥٤-٣٥٥.

^{١٠٤} انظر: دور معاوية إلى جانب عبد الله بن سعد، ابن أعمش، الفتوح، ١م، ص ٣٥٥.

^{١٠٥} ابن أعمش، الفتوح، ١م، ص ٣٥٥.

ذلك تجهز المسلمون للقتال، وقد بدأت المعركة على مراحل، فقد بدأ القتال برمي النبل والنشاب، ثم برمي الحجارة، ونهاية تم ربط المراكب إلى بعضها البعض، وكان ربط المراكب مع بعضها كما تشير المصادر الإسلامية عادة مألوفة في المعارك البحرية^{١١٠}.

ويظهر أن ربط السفن كان يتم بربط بعضها بعض، وذلك بربط صواريخها، فيشير الطبري إلى ذلك بقوله: "فأمن بعضهم بعضاً حتى قرنوا بين سفن المسلمين وأهل الشرك بين صواريخها"^{١١١}، وأيضاً يورد عن الواقدي (ت ٢٠٧هـ/٨٢٣م) قوله: " ثم أصبحوا وقد جمع القسطنطين أن يقاتل، ففربوا سفنهم، وقرب المسلمون، فربطوا بعضها إلى بعض"^{١١٢}، ونلاحظ أن البيزنطيين قد فضلوا معركة بحرية على برية عقب تخيير المسلمين لهم^{١١٣}، إدراكاً منهم لتفوقهم البحري، ومما سبق، ومن خلال رواية ابن عبد الحكم (ت ٢٥٧هـ/٨٧٠م)، - وهي الرواية الأقدم- يبدو أن المعركة بين المسلمين والبيزنطيين لم تبدأ مباشرة بربط السفن ببعضها، بل بدأت بقتال استخدمت فيه النبل والنشاب والحجارة إلى أن استفذ الطرفان أسلحتهما منها، ثم ربطت السفن لبعضها البعض، والربط لم يكن خياراً إسلامياً سمح للمسلمين بالتفوق في المعركة فحسب، بل هو خيار بيزنطي أيضاً، فهو العادة المتبعة في المعارك البحرية آنذاك، وإلى ذلك تشير المصادر الإسلامية صراحة^{١١٤}، وهذا يخالف الرأي القائل أن انتصار المسلمين كان أثر خطة متميزة اتبعتها المسلمون، وذلك بربطهم (أي المسلمين) سفنهم مع بعضها البعض بسلاسل قوية مما أدى لاستحالة

^{١١٠} ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٢٢١-٢٢٢، أحمد بن علي المقرئ، (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، وضع حواشيه: خليل المنصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ١، ص ١٠١، ١٩٩٨م، ج ١، ص ٣١٣.

^{١١١} الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٢٩٠، وانظر: ابن أعمش، الفتوح، م، ص ٣٥٥.

^{١١٢} الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٢٩٢، ٢٩١.

^{١١٣} الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٢٩٠، وانظر: ابن أعمش، الفتوح، م، ص ٣٥٥، ابن الجوزي، المتظم، ج ٥، ص ١٢.

^{١١٤} انظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٢٢١-٢٢٢، الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٢٩٠، ابن أعمش، الفتوح، م، ص ٣٥٥،

المقرئ، الخطط، ج ١، ص ٣١٣.

اختراق البيزنطيين لصفوفهم، وأن المسلمين قاموا بمهاجمة صواري وأشرعة سفن البيزنطية بالخطاطيف، مما أدى إلى هزيمة البيزنطيين^{١٠١}.

وهذا الرأي السابق يخالف ما أورده ابن عبد الحكم والطبري من أن قرن السفن وربطها ببعضها كان عادة متبعة عند الطرفين^{١٠٢}، كما يخالف هذا الرأي ما أورده الطبري عن الواقدي أن المسلمين عندما اصطفوا لقتال البيزنطيين بعد ربطهم السفن ببعضها البعض، قام البيزنطيون بمهاجمتهم وفض صفوفهم، الأمر الذي أدى إلى اشتباك الطرفين في معركة شديدة وقوية على ظهور السفن التي ربطت سوية لتشكيل ساحة معركة كبرى^{١٠٣}، مما يؤكد معرفة البيزنطيين بهذا الأسلوب القتالي، بدليل أنهم هم من بادر المسلمين بالهجوم وفض الصفوف، وإضافة لذلك، فإن البيزنطيين كانوا يتبعون الوسائل والطرق القتالية نفسها باستخدام الخطاطيف والسلاسل، ولم تكن هذه الوسائل حكراً على المسلمين، ودليل ذلك محاولة البيزنطيين سحب سفينة عبد الله بن سعد بالخطاطيف، الأمر الذي دفع رجلاً من المسلمين في سفينة عبد الله بن سعد إلى إلقاء نفسه على السلسلة وقطعها^{١٠٤}، وقد انتهت المعركة بانتصار المسلمين بعد معركة كبيرة أوقعت خسائر كبيرة بالطرفين، ويشير ابن أعمش إلى عنف القتال في معركة ذات الصواري بقوله: "واققتل الفريقان قتالاً لم يسمع بمثله، وليس بينهم رمية سهم ولا طعنة رمح إلا الضرب بالسيوف والبواتر والخناجر والسكاكين حتى أحمر ماء البحر"^{١٠٥}، كذلك فقد دفعت الأمواج إلى الساحل أكواماً من جثث القتلى، فالطبري يروي عن شارك في المعركة القول: "رأيت الساحل حيث تضرب الرياح الموج، وإن عليه لمثل الظرب العظيم من جثث الرجال، وإن الدم لغالب على

^{١٠١} أرشيبالد لويس، القوى البحرية، ص ٩١، وانظر: العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ١٠٤.

^{١٠٢} ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٣٢١-٣٢٢، الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٢٩٠، ابن أعمش، الفتوح، ١م، ص ٣٥٥، المقرئ، الخطط، ج ١، ص ٣١٣.

^{١٠٣} الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٢٩٢-٢٩١.

^{١٠٤} ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٣٢١.

^{١٠٥} ابن أعمش، الفتوح، ١م، ص ٣٥٥.

الماء، ولقد قتل يؤمئذ من المسلمين بشر كثير، وقتل من الكفار ما لا يحصى، وصبروا صبراً لم يصبروا في موطن قط مثله^{١١١}، وتشير بعض الروايات أن عدد من قتل من الروم وصل إلى عشرين ألف مقاتل، وأنه جرى تحطيم الأسطول البيزنطي في المعركة، حتى أنها (أي المعركة) شبهت من بعض المؤرخين بمعركة اليرموك^{١١٢}، وقد سميت هذه المعركة بذات الصواري، نسبة إلى صواري السفن التي اجتمعت جميعاً معاً بعد ربط السفن بعضها ببعض لتشكل ساحة معركة كبرى تغطيها الصواري^{١١٣}، وإلى ذلك يشير الكندي (ت ٣٥٠هـ/٩٦١م) في كتابه ولاية مصر بقوله: "وإنما سميت غزوة ذي الصواري، لكثرة صواري المراكب واجتماعها"^{١١٤}، فقد اجتمع عدد ضخم من المراكب، فكان الروم في ألف مركب والمسلمون في مائتي مركب أو أكثر قليلاً^{١١٥}، بينما ينفرد ابن أعمش الكوفي (ت ٣١٤هـ/٩٢٦م) بذكر أن عدد مراكب المسلمين بلغت خمسمائة مركب^{١١٦}، وهي ربما تكون الرواية الأقرب عن عدد الأسطول الإسلامي المشارك في ذات الصواري، وخاصة أن المسلمين قد شاركوا في الأسطولين المصري والشامي بالمعركة^{١١٧}.

وقد كان لهذه المعركة نتائج مهمة، فقد أثبتت للبيزنطيين بما لا يدع مجالاً للشك تفوق المسلمين البحري على البيزنطيين، وأنهم استطاعوا إنهاء قرون من

^{١١١} الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٢٩٠-٢٩١، وانظر: ابن أعمش، الفتوح، م ١، ص ٣٥٥-٣٥٦، ابن الجوزي، المنتظم، ج ٥، ص ١٢.

^{١١٢} Fahmy, Muslim Sea-Power, p88.

^{١١٣} ماهر، البحرية، ص ٨٤.

^{١١٤} الكندي، ولاية مصر، ص ٣٦-٣٧، المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ٩٢، ويشير بعض المؤرخين المحدثين أن اسم المعركة بسبب المكان الذي جرت فيه المعركة كانت تأخذ منه الأخشاب اللازمة لصناعة صواري السفن، انظر: السيد عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية، ج ١، ص ٢٩، أرشيبالد لويس، القوى البحرية، ص ٩٢.

^{١١٥} ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٢٢.

^{١١٦} ابن أعمش، الفتوح، م ١، ص ٣٥٥.

^{١١٧} وخاصة أن الأسطول الإسلامي الذي غزا قبرص عام ٢٨ تكون من أكثر من مائتي مركب، كذلك غزا معاوية المضيق عام

(٦٥٢/٨٣٢م) بأكثر من خمسمائة مركب

الاحتكار البيزنطي للبحر المتوسط، لكن رغم ذلك لم يترتب على معركة ذات الصواري نتائج مباشرة لحدوث الفتنة ومقتل الخليفة عثمان بن عفان¹¹¹.

IV. الخاتمة

مما سبق يلاحظ أن عدة عوامل لعبت دورا في ظهور ونشأة الأسطول الإسلامي زمن الخليفة عثمان بن عفان، ومن أهم هذه العوامل استقرار الفتح الإسلامي في كل من الشام ومصر، الأمر الذي جعل المسلمين قادرين على الاضطلاع بمهام أخرى غير مهمة الفتح، يضاف إلى ذلك سعي المسلمين للدفاع عن السواحل الممتدة للدولة الإسلامية في وجه البيزنطيين، خاصة بعد فشل سياستهم الدفاعية، وإضافة إلى أنهم هدفوا إلى منافسة البيزنطيين في البحر بعدما أدركوا تفوق البيزنطيين فيه، بل سعوا للقضاء على النفوذ البحري للبيزنطيين، كما لعب العامل الديني والحماسة الكبيرة للجهاد البحري، والتي أتت من حديث الرسول (ص) عن الأجر العظيم والثواب لأول من يغزو في البحر، دورا مهما في التأثير في المسلمين في الشام، وبث الحماسة الكبيرة فيهم لخوض غمار البحر، وخاصة أن هذا الحديث كان يروى في الشام.

كما لعب معاوية بن أبي سفيان والي الشام دورا أساسيا في تأسيس الأسطول الإسلامي في الشام، فهو من ألح على الخليفة عثمان بن عفان حتى سمح له بتأسيس الأسطول الإسلامي والغزو في البحر، وهو أيضا من سعى لوضع البنية الأساسية للأسطول عبر إيجاد موانئ بحرية له، عبر ترميم الموانئ في الشام، إضافة إلى إنشاء مراكز للأسطول من خلال ترميم وتجهيز مدينتي عكا وصور اللتين لم تكونا فقط مراكز للأسطول الشامي، بل مراكز صناعة الأسطول الشامي أيضا، ويبدو أن معاوية خلال عمله لتأسيس الأسطول كان ينفذ رؤية دقيقة سعى خلالها إلى

¹¹¹ انظر: رأي محمد الشيخ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ٩٦. Ostrogorsky, *History of the Byzantine State*, p117.

الاستفادة من كل الخبرات الشامية المتوافرة لدى السكان المحليين سواء في صناعة السفن، أو ركوب البحر، أو في المعرفة الجغرافية في تحديد مواقع الجزر، أو طرق الإبحار، وقد توضح كل ذلك عبر توجه معاوية إلى السكان المحليين في الشام بطلب ترميم وإعادة بناء السفن، وأيضاً عبر الاستفادة منهم كبحارة في تسيير السفن، وأدلاء في تحديد مواقع الجزر في البحر المتوسط، إضافة لاستفادته من خبرات الأقباط^{١١١}.

بعد تأسيس الأسطول اتجه المسلمون إلى غزو قبرص، فاستطاعوا إيجاد نوع من النفوذ السياسي لهم على جزيرة قبرص، وكان لانتصارهم (أي المسلمين) في قبرص الدور الأهم في بث الحماسة لدى العرب لغزو البحر، وفي كسر حاجز الخوف والرهبة عندهم من البحر والغزو فيه، بحيث بدأ المسلمون بعد غزوة قبرص الأولى بتنفيذ خطة جريئة تهدف إلى مهاجمة مراكز البيزنطيين البحرية في البحر المتوسط، وقد بدأت هذه الخطة بغزو مضيق القسطنطينية عام (٦٥٢/٣٢م)، ويبدو أن هذه الغزوة كانت استطلاعية أكثر منها عسكرية، ثم بعدها سرعان ما تطورت أهداف المسلمين الفعلية من مجرد شن غارات على المواقع البيزنطية البحرية إلى السيطرة على هذه المواقع لتكون مراكز للأسطول الإسلامي في البحر المتوسط، ففي عام (٦٥٣/٣٣م) استطاع المسلمون السيطرة على جزيرة قبرص، وإيجاد مركز متقدم للأسطول الإسلامي في البحر المتوسط في قبرص بإنزال عدد من المسلمين فيها، ويدل توجه المسلمين لاحتلال قبرص على تطور خبرات وقدرات المسلمين البحرية، الأمر الذي سمح لهم باتخاذ خطوات أخرى مهمة، وهي الانطلاق إلى غزو جزر البحر المتوسط الخاضعة للنفوذ البيزنطي، فقاموا بمهاجمة جزيرة رودس واحتلالها، كذلك قاموا باحتلال جزيرة أرواد وجزيرة كوس، كما قاموا بشن غارات على جزيرتي كريت وصقلية، الأمر الذي يؤكد قوة الأسطول الإسلامي وعظم

^{١١١} انظر: ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٥٣، ماهر، البحرية، ص ٧٣، فهمي، التنظيم البحري، ص ١١٠، سيدة كاشف، مصر في فجر

الخبرات التي اكتسبها المسلمون في هذه الفترة القصيرة، والتي مكنتهم من تدمير دفاعات البيزنطيين البحرية، واحتلال مراكزهم البحرية المهمة في البحر المتوسط.

يؤكد هذا كله أن تحركات الأسطول الإسلامي البحرية، وما حققه من انتصارات على البيزنطيين في البحر المتوسط، كان العامل الأهم الذي نبه البيزنطيين لخطورة الدور الذي يقوم به الأسطول الإسلامي، والذي بدأ ينافسهم في نفوذهم البحري في البحر المتوسط، لهذا رأى البيزنطيون ضرورة التحرك للقضاء على هذا الخطر الذي بات يهدد نفوذهم البحري، وبدأ هذا التحرك بقيادة الإمبراطور البيزنطي قنسطانز، الذي سعى لمواجهة المسلمين في معركة بحرية حاسمة تقضي على الأسطول الإسلامي مرة واحدة، فتجهز بعدد ضخم من السفن لقتال المسلمين معتقدا بأن أية مواجهة بحرية بين المسلمين والبيزنطيين ستضمن للبيزنطيين التفوق على المسلمين، ودليل ذلك اختيارهم (أي البيزنطيين) الدخول في معركة بحرية على الدخول في معركة برية - وذلك عقب تخيير المسلمين لهم في ذلك -¹²¹، وعندما عرف المسلمون بأمر هذه الجموع أعدوا العدة للمواجهة باجتماع الأسطولين الإسلاميين في الشام ومصر¹²²، وقد التقى الأسطول الإسلامي مع الأسطول البيزنطي قرب سواحل الدولة البيزنطية في آسيا الصغرى، مما يدل على أن الأسطول الإسلامي لم ينتظر اقتراب الأسطول البيزنطي من سواحل الدولة الإسلامية بل أثر التحرك للقاء الأسطول البيزنطي، وفي المعركة التي جرت بين الطرفين تم ربط السفن الإسلامية مع البيزنطية بحيث أصبحت جميعا تشكل ساحة معركة كبرى، وكانت عادة ربط السفن عادة متبعة عند الطرفين كما تشير إلى ذلك المصادر الإسلامية المبكرة¹²³، وقد انتهت المعركة بعدد قتلى كبير من الطرفين إلا إن النصر كان حليف المسلمين، مما أكد تفوق المسلمين البحري، وأيضا أكد

¹²¹ الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٢٩٠، وانظر: ابن أعمش، الفتوح، ١م، ص ٣٥٥، ابن الجوزي، المنتظم، ج ٥، ص ١٢.

¹²² ابن أعمش، الفتوح، ١م، ص ٣٥٤-٣٥٥، وانظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٣٩، ص ٤٢٠.

¹²³ ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٢٢١-٢٢٢، الطبري، تاريخ، ج ٤، ص ٢٩٠، ابن أعمش، الفتوح، ١م، ص ٣٥٥، المقرئ، الخطط، ج ١، ص ٣١٣.

وجود قوة بحرية جديدة في البحر المتوسط تنافس البيزنطيين، بل تتفوق عليهم، ويظهر أن المسلمين قد استفادوا من كل الخبرات البحرية الموجودة في الشام ومصر الموروثة عن العهد البيزنطي، كما استطاع المسلمون بفترة قصيرة جدا - إذا ما قيست بالتاريخ البيزنطي والروماني البحري - من استيعاب كل المهارات البحرية وفهم الخطط العسكرية، بل استخدامها (أي المهارات القتالية والخطط الحربية) في وجه البيزنطيين أصحاب التاريخ البحري الطويل، والانتصار عليهم بأساليب عهدوها لمئات السنين، وليس أدل على ذلك من انتصار المسلمين على البيزنطيين في ذات الصواري بأسلوب ربط السفن بعضها ببعض، الأسلوب البيزنطي في القتال، والذي تؤكد المصادر الإسلامية كونه أسلوبا متبعا لدى البيزنطيين والمسلمين بالقتال.

قائمة المصادر والمراجع المصادر

١. الاصبهاني، أحمد بن عبد الله، (ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، بيروت: دار الكتاب العربي، ط: ٤، ١٩٨٥م.
٢. ابن أعمش الكوفي، أحمد بن أعمش، (ت ٣١٤هـ/٩٢٦م)، الفتوح، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م.
٣. البخاري، محمد بن إسماعيل، (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م)، صحيح البخاري، ضبط النص: محمود نصار، بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ٢، ٢٠٠٢م.
٤. البلاذري، أحمد بن يحيى، (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)، أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار، رياض زركلي، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٦م.
٥. البلاذري، فتوح البلدان، نشره ووضع ملاحقه: صلاح الدين المنجد، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٦م.
٦. ابن الجوزي، عبد الرحمن، (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١٨ج، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م.

٧. ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، مقدمة ابن خلدون، بيروت: دار العلم للجميع.
٨. خليفة بن خياط، (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م)، تاريخ خليفة بن خياط، ط ٢، تحقيق أكرم ضياء العمري، دمشق، بيروت: دار القلم، دمشق، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط: ٢، ١٩٧٧م.
٩. ابو زرعة، عبد الرحمن بن عمرو، (ت ٢٨١هـ/٨٩٤م)، تاريخ أبي زرعة الدمشقي، وضع حواشيه: خليل منصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٩٩٦م.
١٠. الذهبي، محمد بن أحمد، (ت ٤٨٨هـ/١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط: ١١، ١٩٩٦م.
١١. ابن سعد، محمد بن سعد، (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطاء، بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٩٩٧م.
١٢. السيوطي، عبد الرحمن بن كمال الدين، (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٨م.
١٣. ابن شبة، عمر، (ت ٢٦٢هـ/٨٧٥م)، تاريخ المدينة المنورة، علق عليه وخرج أحاديثه: علي محمد دندل، ياسين بيان، بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٩٩٦م.
١٤. الطبراني، سليمان بن أحمد، (ت ٣٦٠هـ/٩٧٠م)، مسند الشاميين، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط: ٢، ١٩٩٦م.
١٥. الطبري، محمد بن جرير، (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٧م.
١٦. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد الجاوي، بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢م.
١٧. ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله، (ت ٢٥٧هـ/٨٧٠م)، فتوح مصر وأخبارها، ط ١، تحقيق: محمد الحجيري، بيروت: دار الفكر، ط: ١، ١٩٩٦م.
١٨. ابن عساکر، علي بن الحسن، (ت ٥٧١هـ/١١٧٥م)، تاريخ دمشق، ط ١، ٨٠م، تحقيق عمر بن عرامة العمروي، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٦م.
١٩. قدامة بن جعفر، (ت ٣٢٩هـ/٩٤٠م)، الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتحقيق: محمد الزبيدي، بغداد: دار الرشيد، ١٩٨١م.
٢٠. ابن كثير، إسماعيل ابن كثير، (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨م.

٢١. الكندي، محمد بن يوسف، (ت ٣٥٠هـ/٩٦١م)، ولاية مصر، تحقيق: حسين نصار، بيروت: دار صادر.
٢٢. المالكي، عبد الله بن محمد، (ت ٤٤٩هـ/١٠٥٧م)، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية، تحقيق: بشير البكوش، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٣م.
٢٣. المقرئ، أحمد بن علي، (ت ٤٥٥هـ/١٤٤١م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، وضع حواشيه: خليل المنصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٩٩٨م.
٢٤. المنبجي، أغايوس بن قسطنطين، (ق ٤٤١هـ/١٠م)، المنتخب من تاريخ المنبجي، انتخبه وحققه: عمر عبد السلام تدمري، طرابلس، لبنان: دار المنصور، ١٩٨٦م.
٢٥. ابن منظور، محمد بن منظور، (ت ٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، دمشق: دار صادر.
٢٦. ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله، (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، تحقيق: فريد بن عبد العزيز الجندي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م.
٢٧. اليعقوبي، أحمد بن إسحاق، (ت ٢٩٢هـ/٩٠٤م)، تاريخ اليعقوبي، علق عليه ووضع حواشيه: خليل منصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ٢، ٢٠٠٢م.

المراجع

٢٨. أحمد، سيد مقبول، العلاقات العربية الهندية، تعريب: نقولا زيادة، بيروت: الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٤م.
٢٩. زيادة، نقولا، الجغرافية والرحلات عند العرب، بيروت: مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، ١٩٦٢م.
٣٠. سالم، السيد عبد العزيز، أحمد العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، القاهرة: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٣م.
٣١. الشيخ، محمد مرسي، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٤م.
٣٢. العبادي، أحمد مختار، السيد عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، القاهرة: مؤسسة شباب الجامعة.
٣٣. العدوي، إبراهيم، الأميون والبيزنطيون، البحر المتوسط بحيرة إسلامية، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، ط: ٢، ١٩٦٣م.

٣٤. العريني، السيد الباز، الدولة البيزنطية ٣٢٣-١٠٨١م، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٦٥م.
٣٥. علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت: دار العلم للملايين، بغداد: مكتبة المشنى، ط: ٢، ١٩٨٠م.
٣٦. فهمي، علي محمود، التنظيم البحري الإسلامي في شرق المتوسط من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادي، ترجمة: قاسم عبده قاسم، بيروت: دار الوحدة، ط: ٢، ١٩٨١م.
٣٧. كاشف، سيدة إسماعيل، مصر في فجر الإسلام، من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٤م.
٣٨. كاشف، سيدة إسماعيل، مصر في فجر الإسلام، من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٤م.
٣٩. لويس، ارشيبالد.ر. القوى البحرية في حوض البحر المتوسط، (١١٠٠-٥٠٠م)، ترجمة: أحمد عيسى، مراجعة وتقديم: محمد غربال، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
٤٠. ماهر، سعاد، البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٩٦٧م.
٤١. مؤنس، حسين، أطلس تاريخ الإسلام، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ط: ١، ١٩٨٧م.
٤٢. يحيى، لطفى عبد الوهاب، العرب في العصور القديمة، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام، القاهرة: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦م.

المؤتمرات

٤٣. تدمري، عمر عبد السلام، الفتح الإسلامي وسياسة الإسكان لساحل دمشق (لبنان)، المؤتمر الدولي الرابع لبلاد الشام، الندوة الثانية، تحرير: محمد البخيت وإحسان عباس، الجامعة الأردنية، جامعة اليرموك، المجلد الثاني، ١٩٨٧م.
٤٤. الأعظمي، عواد مجيد، بلاد الشام الأرضية والقاعدة في التطوع العربي الإسلامي لفتح مدينة القسطنطينية دراسة عسكرية - حضارية، المؤتمر الدولي الرابع لبلاد الشام، الندوة الثانية، تحرير: محمد البخيت، الجامعة الأردنية، جامعة اليرموك، المجلد الثالث، ١٩٨٧م.
٤٥. عاقل، نبيه، موقف سكان بلاد الشام من الفتح، المؤتمر الدولي الرابع لبلاد الشام، الندوة الثانية، تحرير: محمد البخيت، الجامعة الأردنية، جامعة اليرموك، المجلد الثالث، ١٩٨٧م.

المراجع الأجنبية

46. Ali, Mohamed Fahmy, *Muslim Sea-Power, In The Eastern Mediterranean*, from the seventh to tenth century A.D, the general Egyptian book organization, 1980, Egypt.
47. Ostrogorsky, George, *History of the Byzantine State*, Translated from the german by Joan Hussey, Basil Blackwell, 1984, Great Britain.